أسس الأمن الفكري في السنة النبوية

د. جمال أحمد بادي - باحث رئيس(*)
د. إبراهيم آدم أحمد شوقار - باحث مشارك(**)

(*) أستاذ مشارك بكلية معارف الوحي والعلوم بالجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا.
(**) أستاذ مشارك بكلية العلوم بالجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا.

ملخص البحث:

لقد أصبح الأمن الفكري ضرورة من ضروريات المحافظة على أسس ومبادئ وقيم الثقافة الإسلامية الحضارية في مواجهة مخاطر التحديات المعاصرة، التي في مقدمتها العولمة. وتحاول هذه الورقة أن تقدم رؤية إسلامية تؤصل لأسس الأمن الفكري بمفهومه الشمولي ودلالته الواسعة، انطلاقاً من سنة نبينا محمد ﷺ، بتوظيف ما ورد فيها من أصول وتطبيقات، تصلح أن تكون نبراساً هادياً لأجيال أمتنا الصاعدة، تحافظ باتباع هديها على هويتها وقيمها ومبادئها، وتتعرف بوضوح من خلالها على دروب الريادة والحضارة. تحاول هذه الورقة الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما المقصود بالأمن الفكري من المنظور الإسلامي؟ وما أهميته؟
- ما أهم الأسس الواردة في السنة النوية لتحقيق الأمن الفكري؟
- ما النماذج التطبيقية في سيرة النبي ﷺ لدعم وتفعيل تلك الأسس؟
- ما أقوال أهل العلم في بيان تلك الأسس وتوضيحها؟

وقد سلك البحث المنهج الاستقرائي لجمع أسس الأمن الفكري من كتب السنة والسيرة النبوية، مع المنهج التحليلي لتحويل تلك الأسس إلى وسائل عملية تهدف إلى تحقيق الأمن الفكري في زماننا المعاصر.

المقدمة:

يعد مصطلح "الأمن الفكري" من المصطلحات المعاصرة. وقد عرّفه بعض العلماء على أنه: "طمأنينة الفرد والمجتمع على معتقداته ومبادئه التي يؤمن بها والحرية في ممارستها وحمايتها والحديث عنها".[١]

وقد برز هذا المصطلح، مؤخراً في المنابر الثقافية المختلفة في مواجهة تحديات العولمة باعتبارها "الامتداد الثقافي والفكري والإيديولوجي[٢] للنموذج والثقافة والمعرفة والإنجاز الحضاري الغربي المعاصر"[٣]

إن موضوع الأمن الفكري في السنه النبوية، لم يكن مؤسساً بالتنصيص النظري فحسب، بل كان منهجاً ومبادئ عملية تجلّت في مواقف صاحب الرسالة الخالدة - ﷺ - وفي تعاملاته الحكيمة مع مكونات المجتمع[٤]، ثم في سيرة أصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. فالمسلمون في هذا العصر في حاجة ماسة للعودة إلى المنهج النبوي، أكثر من أي وقت مضى، لالتماس

---

(١) بن حميد، صالح بن عبدالله، **الأمن الفكري في ضوء مقاصد الشريعة** (الرياض: كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري، جامعة الملك سعود، ١٤٢٩هـ) ص ١٦.

(٢) الأيديولوجيا هي: مجموعة منظمة من الأفكار، تشكل رؤية متماسكة، وطريقة لرؤية القضايا والأمور التي تتعلق بالأمور اليومية، أو تتعلق بمناحي فلسفية معينة السياسية منها بشكل خاص. أو قد تكون مجموعة من الأفكار التي تفرضها الطبقة المهيمنة في المجتمع على باقي أفراد المجتمع. انظر: العروي، عبدالله، **مفهوم الإيدولوجيا** (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط ٥، ١٩٩٣م)، ص ٩. وانظر: سبيلا، محمد، الإيدولوجيا: نحو نظرة تكاملية (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٢م)، ص ٩-١٠.

(٣) برغوث، عبد العزيز، **ظاهرة العولمة ومساراتها بين المقاربة الإيدولوجية والمقاربة الحضارية**، (الولايات المتحدة: مجلة إسلامية المعرفة، العدد ٤٦-٤٧، ٢٠٠٦-٢٠٠٧م) ص ٨٧.

(٤) مثلاً، أنه (ﷺ)، كان لا يميل إلى التجريح والتشهير بالناس حتى في إصلاح الخطأ، وإنما كان يقول في توجيهه: (ما بال أقوام يقولون كذا.... وكذا)، أو يقول: (ما بالُ أقوام يفعلون كذا... وكذا) ولا يذكر أحداً باسمه.

الحلول ورسم الاستراتيجيات لمواجهة قضايا هذا العصر الشائكة. وقد جاءت السنة النبوية الشريفة، وهي التطبيق العملي للقرآن الكريم، لتحقيق المنهج القرآني على الواقع من خلال وضع دعائم الأمن الفكري وترسيخها في المجتمع المسلم. فتأمل في المنهج النبوي في تعامله ﷺ مع القطاعات المختلفة في المجتمع، وبخاصة مع قطاع الشباب وما يحملونه من أفكار شاذة أحياناً[٥]! وتأمل في ردود أفعاله ﷺ، من مواقف أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، في الأحداث اليومية المختلفة فيما بينهم أنفسهم أو فيما بينهم وبين غيرهم!

بل تأمل في ما جاء في دستور المدينة، المعروف بـ"وثيقة المدينة"[٦]، وهي أهم وثيقة كُتبت بعد الهجرة، وربما في التاريخ، لتقنين العلاقة والترابط الداخلي للمجتمع الواحد، في ظل تباين عرقي وثقافي وديني، من أجل تحقيق الأمن الفكري والاجتماعي للجميع!

ستجد في ذلك كله: التوجيهات الهادية، والنصائح الهادفة، والضوابط المرشدة. التي يمكن اعتبارها قواعد وأصول منظمة، غايتها حماية القيم والأخلاق والعقائد التي أسس لها الوحي الإلهي، مع ضمان ممارستها بالشكل الصحيح الذي يشكّل صمام الأمان الفكري.

---

(٥) ستأتي قصة الشاب الذي استأذن النبي ﷺ في الزنا! وكيف تعاطى معها ﷺ بحكمته.

(٦) يوجد على موقع "ملتقى أهل الحديث" بحث قيم حول تخريج "وثيقة المدينة" التي اختلف أهل المغازي والسير في تسميتها (الوثيقة، الدستور، الصحيفة، الكتاب)، وخلاصته: "إن أصل الوثيقة ثابت بالحديث الصحيح عند الأئمة: البخاري ومسلم وغيرهما، وجاءت الروايات مجتزأة مختصرة بمجموعها يثبت أن رسول الله ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة؛ أما التفصيلات التي جاءت في رواية ابن إسحاق فلم نجدها إلا عنده ومدارها عليه، وجاءت أيضاً من طريق الزهري مرسلة؛ فهي ضعيفة". راجع البحث على العنوان التالي:
http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=94534 تاريخ التصفح ١٨/١/٢٠١٠م.

أهم أسس الأمن الفكري في السنة النبوية

بعد دراسة وتأمل في سيرته ﷺ ومنهجه في تربية المجتمع، وبعد النظر الدقيق فيما ورد عنه من أحاديث صحيحة، يمكن تلخيص أهم أسس الأمن الفكري في السنة النبوية في الآتي:

١ – التوحيد أساس الأمن:

توحيد الله تعالى – كما هو أساس الدين والاعتقاد – هو أساس كل خير وفلاح دنيوي وأخروي. ومن ذلك أنه أساس الأمن في الدنيا والآخرة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: (**يا غلام إني أعلمك كلمات: إحفظ الله يحفظك، إحفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك. وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**).[٧] **وفي رواية الإمام أحمد: (إحفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا). وهو موافق لقول الله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ **(الأنعام:٨٢).**

فالتوحيد عاصم لصاحبه من أن ينزلق في مهاوي الغزو الفكري الذي يدير دفة مركبه أعداء الأمة، يرومون بذلك إعادة توجيه عقول وسلوك المسلمين لصالح مخططاتهم، بله الانسياق إلى الارتماء في أحضانهم ببيع المسلم نفسه لهم وخيانة أمته أو وطنه أو الانسلاخ من مبادئه وقيمه.

وهذه مسألة يجب إبرازها لطلابنا في كتب المقررات الدراسية، سواء أكانت الدينية أم التربية الوطنية؛ كإجراء استباقي يرمي لتحصين عقول شبابنا، وتثبيت قلوبهم، وتوجيه عقولهم وسلوكهم.

---

(٧) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. (ح: ٢٥١٦).

ومن أسس هذا التحصين لعقول المسلمين: تجانس المنهج المعرفي لدى المسلمين المهتدين بهدي الوحي قرآنا وسنة. يقول الدكتور النجّار: "إن عقيدة التوحيد تجمع المسلمين على تصور موحد للوجود والكون والمصير. وهذه العقيدة الموحدة للمسلمين أيديولوجياً هي الموحدة - أيضاً - لعقولهم بتشكيلها على خصال منهجية في النظر المعرفي متجانسة، وأصبحوا بها يفكرون بالطريقة ذاتها، فيتوصلون إلى رؤى وحلول متجانسة في تدبير الحياة"(٨).

ومن المميزات التي ينفرد بها التوحيد في هذا المجال: ضبطه لسلوك معتنقيه، لا من خلال أنظمته وحدوده فحسب، بل من خلال إيجاد رقيب داخلي في كل فرد من أفراد المجتمع يتبع به تلك الأنظمة التي قررها، ويقف عند الحدود التي رسمها.

يقول أحد الباحثين في تقرير هذه الميزة: "إذا استبعدنا الجرائم ذات العلاقة بالأفكار، فإن المجتمع المسلم ينفرد أو يكاد، عن غيره من المجتمعات بوجود أنواع من الروادع غير تلك المألوفة عند غيره من قوة نظام وقانون وعقوبات ودقة في تنفيذها، لذا فإنه من السهل جداً إدارته أمنياً، إذا ما تحقق تحكيم الإسلام فيه والتزام أفراده بتطبيقه على وجهه الصحيح". إلى أن يقول: "ولعل ما نشاهده من مظاهر البعد عن الالتزام بالإسلام في أرصفة وطرقات وبيوت المجتمعات الإسلامية في هذا الزمن أوجد مظاهر متعددة للجريمة وأشكالاً مختلفة لما يخل بالأمن ويكدر صفو الحياة. الأمر الذي يقضي بأن تتجه الجهات المسؤولة عن الأمن في البلاد الإسلامية الى تنمية الوازع الديني لدى الأفراد؛ لأن مهمة الإدارة الأمنية الخارجية لدى الحكومات تسهل كلما نمت الإدارة الأمنية الذاتية أو الداخلية لدى الشعوب"(٩).

---

(٨) النجار، عبد المجيد، **دور حرية الراي في تحقيق الوحدة الفكرية بين المسلمين** (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م)، ص٣٢.

(٩) الزامل، عبد الله، **الوازع الديني**، مقالة منشورة في جريدة الرياض، الاحد ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ - ١٦ يوليو ٢٠٠٦م - العدد ١٣٩٠١. من موقع: http://www.alriyadh.com/

إذا تقرر ذلك فإن أهم ما يهدد هذا الأصل هو:

أ - ترويج الفساد الأخلاقي، مع غياب أو ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لذا جاء الأمر بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر بين المؤمنين.

ب - ضعف الوازع الديني وانتشار المعاصي والاستهانة بها. وهو أمر قد يكون ناتجاً عن سابقه. ولا عجب أن ينصّ علماؤنا على أن المعاصي تقدح في كمال التوحيد.

ج - الالتقاء مع أهداف المخالف أو العدو، كما حصل من الكتاب العرب الذين وجدت كتاباتهم في النيل من الإسلام وحملته، أثناء حرب الإبادة التي شنها اليهود على مسلمي غزة رواجاً عند قادة اليهود؛ فأوصوا بمنح بعض أولئك الكتبة وسام دولتهم وبنشر مقالاتهم على مواقعهم. وهو أمر يحصل لأول مرة في تاريخ المسلمين الحديث.

٢ - تعظيم الحق والانفتاح عليه وتشجيع حبه وقبوله والانقياد له:

هذا الأساس هو أصل الأمن الفكري بشكل عام، وفيه تجاوز للتقاليد والإمعية والتعصب والتقليد الأعمى. ومن ذلك: إقرار النبي ﷺ للصحابيين الذين اختلفا في قراءتهما بقوله ﷺ: (كلاكما محسن).[(١٠)] وكذا قوله ﷺ لأبي هريرة في شأن ما قاله له الشيطان: "إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ." فقال ﷺ:"صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ"[(١١)]. ومن ذلك: إقرار النبي بأن شعر لبيد كان أصدق كلمة قالها الشاعر على الرغم من أنه غير مسلم. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

---

(١٠) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص، والخصومة بين المسلم واليهود، رقم الحديث ٢٤١٠، ج٥، ص٧٠.

(١١) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحب الدين الخطيب (بيروت: دار الفكر، د.ت)، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث ٣٢٧٥، ج٦، ص٣٣٥. وأخرجه البخاري: من حديث أبي هريرة: كتاب الوكالة، باب إذا وكلّ رجلا...(ح: ٢٢١٥).

قال النبي ﷺ: "أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ: كَلِمَةُ لَبِيدٍ، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ"(١٢).

ومن ذلك: إجازة النبي ﷺ الرواية عن بني إسرائيل التي لا تتعارض مع ما جاء به المصطفى؛ باعتبار أن ما روي عنهم ليس كله كذب. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، حَدِّثُوا عَنِّي وَلَا تَكْذِبُوا. قَالَ: وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ – قَالَ هَمَّامٌ: أَحْسَبُهُ قَالَ مُتَعَمِّدًا – فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ"(١٣).

وهناك أسباب قد تحول دون تقبل الحق، منها: الجهل والحسد، وقد بوب ابن قيم الجوزية في كتابه "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى" باباً عن الأسباب المانعة عن قبول الحق قال فيه: "والاسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً، فمنها: الجهل به، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس فان من جهل شيئا عاداه وعادى أهله، فان انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى فإن انضاف إلى ذلك ألفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوى المانع فإن انضاف إلى ذلك توهمه أنّ الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته وأغراضه، قوي المانع من القبول جداً فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ازادد المانع من قبول الحق قوة..." إلى أن قال: "ومن أعظم هذه الأسباب: الحسد فإنه داء كامن في النفس ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتي ما لم يؤت نظيره فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه"(١٤).

---

(١٢) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، رقم الحديث ٣٨٤١، ج٧، ص١٤٩. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الشعر، باب حدثنا عمرو الناقد، رقم الحديث ٦٠٢٦، ج٧، ص٤٩.

(١٣) أحمد، **المسند**، رقم الحديث ١١٥٣٦، ج١٨، ص٩٤-٩٥.

(١٤) ابن قيم الجوزية، **هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى** (المدينة: مطبعة الجامعة الإسلامية، ط١)، ص١٦.

ومن الأسباب الصادة عن الحق: التعصب:"إن التحيزات المعرفية المنظمة تصاحب غالباً عملية تكوين الانطباعات عن الأشخاص الآخرين. فحينما تقوم مجموعة من الأشخاص بتكوين انطباع محدد عن شخص آخر، يغلب أن يؤدي ذلك إلى حدوث التشويهات في الإدراكات، مما يجعلهم يستجيبون غالباً لمعظم المنبهات السائدة، باستجابات مفرطة. وتؤدي هذه المحاولات نفسها إلى حدوث التعصب"(١٥). ويقول أندريه هاينال في شرح أثر هذه الظاهرة: (إننا مضطرون للملاحظة بأن الشبان ينجذبون إلى تجمعات وتكتلات دينية أو علمانية، حسب البلدان، لكنها تجمعات تعصبية أيضاً. ويمكننا التساؤل عن الحاجة التي تدفعهم نحو ذلك. فقد راينا أن التعصب يمنح الأمان المعرفي وتوطيد النرجسية، غير أننا لا نستطيع تفسيره إلا إذا أحطنا باللحظة الثقافية للحضارة. اللحظة التي يزدهر فيها التعصب)(١٦).

٣ - الأمر بالوحدة والألفة والدخول في سلك الجماعة ونبذ الفرقة والاختلاف والتشرذم:

وهي ركيزة عظيمة في هذا الباب. وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ضرورة أن يكونوا أمة واحدة تربطهم أواصر الأخوة والمحبة، حيث قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "لَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا"(١٧). وفي رواية مسلم: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هَا هُنَا- وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ**

---

(١٥) عبد الله، معتز سيد، **التعصب دراسة نفسية اجتماعية** (القاهرة: دار الغريب للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٧م)، ص١٣٠.

(١٦) هاينال، اندريه، ومكلوس مولنار، وجيرار دي بوميج، **سيكولوجية التعصب**، ترجمة د. خليل أحمد خليل (لندن: دار الساقي، ط١، ١٩٩٩م)، ص٤٣-٤٤.

(١٧) أحمد، **المسند**، تحقيق شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٩م)، مسند أبي هريرة، رقم الحديث ١٠٠٦٢، ج١٦، ص٩٢.

يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ».[18] وفي رواية البخاري: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً"[19]

كما دلت الأحاديث النبوية على وجوب تعاون المسلمين، من ذلك حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[20]. ومنها: حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»**[21].

وقد بين الرسول أن البركة وعون الله مع الجماعة، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ[22]. وأن يحب المسلم لأخيه المسلم مثل ما أحبه لنفسه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ- أَوْ قَالَ لِجَارِهِ- مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».**[23] وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ**

---

(١٨) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم الحديث ٦٧٠٦، ج٨، ص١٠. وأحمد، المسند، رقم الحديث ٧٧٢٧، ج١٣، ص١٥٩.

(١٩) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر وقوله تعالى: (ومن شر حاسد إذا حسد)، رقم الحديث ٦٠٦٤، ج١٠، ص٤٨١.

(٢٠) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث ٢٤٤٢، ج٥، ص٩٧.

(٢١) مسلم، **صحيح مسلم** (بيروت: دار الجيل، دت)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث ٦٧٥١، ج٨، ص٢٠.

(٢٢) الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٩٩٨م)، كتاب الفتن، باب لزوم الجماعة، رقم الحديث ٢١٦٦، ج٤، ص٣٩.

(٢٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه، رقم الحديث ١٧٩، ج١، ص٤٩. والترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، رقم الحديث ٢٥١٥، ج ٤، ص ٢٨٤. والنسائي، سنن النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب علامة الإيمان، رقم الحديث ٥٠٣١، ج٨، ص٤٨٩.

نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ».(٢٤)

والاجتماع والوحدة والألفة كما قررتها السنة النبوية قررها القرآن الكريم في مواضع عديدة كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢٥). وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾(٢٦). وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢٧). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾(٢٨).

فالوحدة هي أساس الأمن الاجتماعي والفكري، وأمر الوحدة والألفة والاجتماع متقرر معلوم، إلا أنه يحتاج إلى تأكيد وتكرار وغرس في عقول وقلوب أجيالنا الصاعدة، مع التحذير مما يخالفه ويهدده من تحديات، ومن أهمها:

أ - التحزب الديني:

بصرف الولاء من الأمة إلى الحزب يقول الشيخ القرضاوي: "ومن التعصب الذي ينبغي أن نحذر منه: التعصب للفئة أو الحزب أو للجماعة التي ينتسب إليها المسلم، تعصباً يجعله ينتصر لها بالحق وبالباطل. ومن التعصب

---

(٢٤) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الدعاء والذكر والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث ٧٠٢٨، ج٨، ص٧١. والترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب القراءات، باب، رقم الحديث ٢٩٤٥، ج٥، ص٦٠.

(٢٥) سورة الحجرات، الآية ١٠.

(٢٦) سورة الأنفال، الآية ٤٦.

(٢٧) سورة التوبة، الآية ٧١.

(٢٨) سورة الصف، الآية ٤.

للجماعة أو الحزب، أن يضفى عليها من الصفات ما يشبه القداسة أو العصمة، فكل ما تقوله فهو حق، وكل ما تفعله فهو جميل، وكل ما يصدر عنها فهو صواب، وكل تاريخها أمجاد، وكل رجالها ملائكة!" ثم عدّد أهم مظاهر هذا التعصب كالتالي:

١ - أن لا يذكر لجماعته أو لحزبه، إلا المزايا والحسنات، ولا يذكر للجماعات الأخرى إلا العيوب والسيئات، وأن يعظم رجال مجموعته مهما يكن فيهم من تقصير أو قصور، ويحقّر رجال الآخرين مهما يكن فيهم من سمو في العلم والعمل.

٢ - أن يفرح بأخطاء الآخرين، وقد يشنع بها، ويضرب بها الطبل، في حين يتعامى عن أخطاء فئته وجماعته، وإذا اعترف بها حاول أن يهون منها، ويعتذر لها، ويدافع عنها.

٣ - المبالغة في المحافظة على الأشكال التنظيمية للحزب أو للجماعة، كأنها أمور تعبدية، حتى يضحي في بعض الأحيان - بمصلحة الدعوة الإسلامية، والأمة الإسلامية، كيلا تخدش الصورة التنظيمية.

وقد نبّه الشيخ القرضاوي على جملة من الأخلاقيات التي يراها لازمة للدلالة على التحرر من أسر التعصب حقاً. ومن هذه الأخلاقيات: "أن ينظر إلى القول لا إلى قائله، وأن تكون لديه الشجاعة لنقد الذات، والاعتراف بالخطأ، والترحيب بالنقد من الآخرين، وطلب النصح والتقويم منهم، والاستفادة مما عند الآخرين من علم وحكمة، والثناء على المخالف فيما أحسن فيه، والدفاع عنه إذا اتهم بالباطل، أو تطاول عليه أحد بغير حق"[٢٩]

ب - الضرب على وتيرة الطائفية:

يشير بعض المفكرين المعاصرين إلى وجود فرق بين التعصب والطائفية بقوله: "إن هناك فرقاً كبيراً بين التعصب والطائفية كحالة فكرية أو سلوكية أو

(٢٩) د. يوسف القرضاوي: **اخلاقيات التحرر من التعصب**: مجلة بلاغ. http://www.balagh.com/youth/7l0sz116.htm.

نفسية سلبية تتسم بها بعض الجماعات، وبين المذاهب الفقهية والكلامية والاتجاهات الإسلامية المختلفة التي ولدت ضمن عوامل وتطورات فكرية وتاريخية مختلفة، ربما لا تكون العصبية الطائفية من سماتها". إلى أن يقول: "فالقبلية والنسب وأمثالهما: أمور نسبية، قد تكون طبيعية في حدود معقولة.

أما الخطر كله فيكمن في ما لو حاول الإنسان أن يصعد بهذه الأمور إلى مستوى الأمور المطلقة والمعايير العامة، فحينئذ تكون الكارثة، وعندئذ تكون الطائفية قد تجلت بأبشع صورها وأخس اشكالها، وحينئذ يتحول النسبي النافع إلى قيد على الذهن الإنساني؛ فيمنعه من الانطلاق الحضاري البناء؛ باعتبار أن هذا النسبي يرتبط بظروفه الموضوعية، فإذا جعل مطلقاً لم يعد يمكن لإنسان أن يتخطى هذه الظروف، وحينئذ فالجمود والانحطاط المقيت".(٣٠)

ج - التشرذم الاثني والعرقي:

وهو انقسام المجتمع المسلم بسبب الاختلاف العرقي، فهذا عربي وذاك كردي، والآخر أمازيغي والرابع طاجيكي وغيره فارسي، وقِسْ على ذلك. والمشكلة تكمن في استغلال الأعداء لهذا الأمر لاسيما في البلاد الإسلامية التي تعرضت للاحتلال، كالعراق وأفغانستان. كما أن بعض الشخصيات والمؤسسات المعادية للإسلام صرحت بضرورة توظيف هذه الثغرة في مواجهتها لأمة الإسلام.

٤ - التوسط والاعتدال ونبذ الغلو في الفكر والعمل:

فلا أمان مع غلو وتطرف، ووقوف النبي ﷺ في وجه الخوارج، ثم وقوع فتنتهم بعد ذلك وقتالهم للمسلمين بسبب غلوهم دليل على خطورة الغلو. وقد تمظهرت دعوة السنة النبوية إلى القصد والاعتدال والتوسط في التدين في الأمور التالية:

---

(٣٠) العبادي، صادق، **الفكر الطائفي واثره في انقسام الأمة**، مقالة في ندوة مستجدات الفكر الإسلامي المعاصر الرابعة، ٩-١١ يناير ١٩٩٥م.

- **ضرورة المقاربة في الدين**[٣١]

أي التوسط في العمل والعبادة وعدم التشدد فيها. فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: "لَنْ يُنَجِّيَ أَحَداً مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ، سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ، وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا"[٣٢].

وقد جاء تقرير يسر الإسلام وتوسطه في أحاديث كثيرة منها كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ"[٣٣].

ومن وصايا الرسول ترك الغلو في الدين: ما جاء في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: "قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - غَدَاةَ الْعَقَبَةِ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ -: هَاتِ الْقُطْ لِي، فَلَقَطْتُ لَهُ حَصَيَاتٍ، هُنَّ حَصَى الْخَذْفِ، فَلَمَّا وَضَعْتُهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"[٣٤]

- **تطبيقه ﷺ لما أمر به أمته من الاعتدال والتوسط في أداء العبادات**

فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ

---

(٣١) يقول ابن حجر العسقلاني في شرح مفهوم المقاربة في الدين: "قوله: وقاربوا أي لا تفرطوا؛ فتجهدوا أنفسكم في العبادة؛ لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل فتفرّطوا". ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ) ج١١، ص ٢٩٧).

(٣٢) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث ٦٤٦٣، ج١١، ص٢٩٤. وأحمد، المسند، رقم الحديث ١٠٦٧٧، ج١٦، ص٣٩٥.

(٣٣) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر وقول النبي أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة، رقم الحديث ٣٩، ج١، ص٩٣.

(٣٤) النسائي، **سنن النسائي**، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، رقم الحديث ٣٠٥٧، ج٥، ص٢٩٦.

النَّبِيِّ ﷺ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا! أَمَا وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"(٣٥).

- أمره ﷺ صحابته بالتخفيف في إمامة الناس بالصلاة

كما في قصته -عليه الصلاة والسلام- مع معاذ بن جبل -رضي الله عنه- فقد جاء عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: "كان معاذ بن جبل يصلي مع النبي -ﷺ- ثم يرجع فيؤم قومه، فصلى ليلة مع النبي -ﷺ- العشاء، ثم أتى قومه فأمَّهم، فافتتح بسورة البقرة، فانحرف رجل، فسلَّم، ثم صلى وحده، وانصرف، فقالوا له: أنافقت يا فلان؟ قال: لا، والله لآتين رسول الله -ﷺ- فلأخبرنه، فأتى رسول الله -ﷺ- فقال: يا رسول الله، إنَّا أصحاب نواضح، نعمل بالنهار، وإن معاذاً صلى معك العشاء، ثم أتى فافتتح بسورة البقرة، فأقبل رسول الله -ﷺ- على معاذ فقال: "يا معاذ، أفتّان أنت! اقرأ بكذا، واقرأ بكذا". وفي رواية: "يا معاذ، أفتانٌ أنت -ثلاثاً-! اقرأ: "والشمس وضحاها" و"سبح اسم ربك الأعلى، ونحوهما". وفي رواية: "فتان، فتان، فتان" ثلاث مرار، أو قال: "فاتناً، فاتناً، فاتناً".(٣٦)

٥ - الثبات على المبادئ:

وردت في السيرة النبوية أحداث كثيرة ومتنوعة بيّنت ثباته ﷺ وعدم تنازله عن ما جاء به من الحق رغم تعدد الإغراءات التي عرضها عليه صناديد قريش.

---

(٣٥) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، رقم الحديث ٥٠٦٣، ج٩، ص١٠٤.

(٣٦) متفق عليه.

والثبات على الحق يمثل أرضية صلبة لمواجهة طوفان الغزو الفكري وتشكيك المسلمين في دينهم ومبادئهم ونبيهم اليوم، وهو المتمثل في الهجمة الحاقدة على دين الإسلام وتشويه صورته الناصعة من قبل أعدائه.

وقد مدح القرآن الثابتين على عقيدتهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾(٣٧). **وقد حثّ النبي أصحابه على الثبات على المبدأ** ،فعن خباب بن الأرت قال: "شكونا إلى رسول الله ﷺ – وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون" (٣٨)

وضرب ﷺ لصحابته مثالاً عملياً فيما حثهم عليه من الثبات على المبادئ بعدم قبوله الشفاعة في الحدود. فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ. فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقال رسول الله ﷺ: (أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ! ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" (٣٩).

---

(٣٧) سورة فصلت: ٣٠.

(٣٨) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، رقم الحديث ٦٩٤٣، ج١٢، ص٣١٥.

(٣٩) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما بعد باب حديث الغار، رقم الحديث ٣٤٧٥، ج٦، ص٥١٣. ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، رقم الحديث ٤٥٠٥، ج٥، ص١١٤.

ومما يهدد سلامة هذا الأصل:

أ - **تحديات العولمة:** يشير أحد الباحثين المتخصصين في مجالات دراسات العولمة إلى أن إشكالات العولمة لا تكمن فقط في كونها عملية تحاول إلغاء تأثير الحدود الجغرافية بين المجتمعات والدول، والتقليص من الحواجز والاجراءات القانونية لانتقال الأفراد والسلع والأفكار والرسائل والوسائل والرموز فيما بين المجتمعات على المستوى العالمي، ولكن تتعداها لتفكيك الأطر الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وجعلها أكثر ارتباطاً بعوامل خارجية؛ ليصعب التحكم فيها، هدفها النشر والتعميم لمفاهيم الصراع والهيمنة والسيطرة، وما يدعونه من حقوق الإنسان والديمقراطية والرأسمالية العالمية والاقتصاد الحر والخصخصة وأنماط الحياة الغربية وقيمها.(٤٠)

ب - **تحديات التقنية:**

يصف أحد الباحثين ذلك النوع من التحديات بالصورة التالية: "ومن الحقائق الثابتة الآن على الصعيد الثقافي، أن النظام الثقافي: المسيطر على الواقع العالمي: هو النظام السمعي البصري، فالصورة اليوم هي المادة الثقافية التي يجري تسويقها على أوسع نطاق، وهي في زماننا هذا مصدر إنتاج القيم وتشكيل الوعي والوجدان والذوق. وهناك الآف الشركات التي تتنافس في مجال تقديم ثقافة أشبه ما تكون بالسلع الاستهلاكية، كما أن هناك مئات الأقمار الصناعية التي ترسل عبر شاشات الملايين من أجهزة التلفاز، رسائل ثقافية تستهدف تغريب المواطنين في عالمنا العربي والإسلامي عن مجتمعاتهم، وأصبحت صناعة الثقافة في عصرنا هذا من الصناعات العملاقة التي تستهدف حياة البشر في جوانبها المختلفة، وتعمد إلى تسطيح الأفكار والمشاعر وإلى تزييف أو تغييب الوعي."(٤١)

---

(٤٠) برغوث، عبد العزيز، **ظاهرة العولمة ومساراتها بين المقاربة الأيديولوجية والمقاربة الحضارية**: مجلة إسلامية المعرفة السنة الثانية عشر العدد ٤٦-٤٧ خريف ٢٠٠٦م شتاء ٢٠٠٧م. ص ١٠٦ بتصرف.

(٤١) حسن إبراهيم عبد العال، التربية الإبداعية ضرورة وجود، عمان، دار الفكر، ٢٠٠٤. ص ٩ & ١٠.

٦ – المرونة في الأمور الاجتهادية المبنية على ترجح المصلحة:

هنالك الكثير من الوقائع التايخية في سيرته، ﷺ، التي تؤكد هذا المبدأ وتشير إلى إمكان تغيير القناعات في المسائل الاجتهادية في إطار تحقيق المصالح ودفع المفاسد، مثل صلح الحديبية، والأمر بالاجتهاد في قصة إرسال معاذ إلى اليمن وإقراره ﷺ لاجتهاد معاذ. وبهذا الإقرار أكد النبي ﷺ على خصيصة عظيمة لهذا الدين، ألا وهي صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان لكونه يعطي للعقل البشري مجالاً للاجتهاد في ضوء الشرع فيما لا نص فيه. فعندما أَرَادَ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: «كَيْفَ تَقْضِى إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟ قَالَ أَقْضِى بِكِتَابِ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِى كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ، قَالَ: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– وَلاَ فِى كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِى وَلاَ آلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ– صَدْرَهُ وَقَالَ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِى رَسُولَ اللَّهِ»[٤٢].

ومن مظاهر مرونة الفكر الإسلامي: أنه يراعي طبيعة البشرِ فعَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِىِّ – وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– قَالَ – لَقِيَنِى أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ! قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ؛ فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ: أَبُو بَكْرٍ فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –ﷺ– قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ

---

(٤٢) أبو داود، **سنن أبي داود** (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت)، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، رقم الحديث ٣٥٩٤، ج٣، ص٣٣٠. وأحمد، المسند، رقم الحديث ٢٢١٠٠، ج٣٦، ص٤١٦–٤١٧.

عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلاَثَ مَرَّاتٍ".(٤٣). وعَنْ عُرْوَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ دَخل عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيَتَانِ تَضْرِبَانِ بِالدُّفِّ وَتُغَنِّيَانِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسَجًّى بِثَوْبِهِ، وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: مُتَسَجٍّ ثَوْبَهُ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ: دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ وَهُنَّ أَيَّامُ مِنًى، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِالْمَدِينَةِ(٤٤)

ومن مظاهر مرونة الإسلام: إعطاؤه الرخصة لأصحاب الأعذار فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الصَّلَاةِ فَقَالَ: (صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ "(٤٥). ومن الصور العملية الرائعة التي سطرتها لنا السيرة النبوية: مرونة النبي ﷺ مع عامله: قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِى يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ وَاللَّهِ لاَ أَذْهَبُ. وَفِى نَفْسِى أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِى بِهِ نَبِىُّ اللَّهِ -ﷺ- فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِى السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- قَدْ قَبَضَ بِقَفَاىَ مِنْ وَرَائِى - قَالَ - فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ»؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.(٤٦) قَالَ أَنَسٌ وَاللَّهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَىْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ أَوْ لِشَىْءٍ تَرَكْتُهُ: هَلَّا فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا.؟(٤٧)

---

(٤٣) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، رقم الحديث ٧١٤٢، ج٨، ص٩٤.

(٤٤) النسائي، **سنن النسائي**، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في الاستماع إلى الغناء وضرب الدف يوم العيد، رقم الحديث ١٥٩٦، ج٣، ٢١٨.

(٤٥) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب تقصير الصلاة، باب إذا لم يستطع قاعداً فعلى جنب، رقم الحديث ١١١٧، ج٢، ص٥٨٧.

(٤٦) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله أحسن الناس خلقاً، رقم الحديث ٦١٥٥، ج٧، ص٧٤.

(٤٧) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله أحسن الناس خلقاً، رقم الحديث ٦١٥٦، ج٧، ص٧٤.

٧ – تغيير زوايا النظر بالتخلص من قيود الإطار الفكري[٤٨]:

لقد جاء الإسلام ليؤصل العقائد الصحيحة، ويصحح العقائد الباطلة القائمة في اي مجتمع. ومن موانع الاستجابة للحق والهدي الرباني: وجود إطار فكري قبلي تمنع قيوده صاحبه من قبول الحق والامتثال له. فالإطار الفكري – بشكله العام – هو الناظم لمجموعة القيم والمعتقدات لأي فئة أو طائفة أو فرقة. وهو الأساس الذي تقوم عليه المسارات الذهنية المتشكلة عبر الزمن والمتكررة مع مرور الأيام والسنين، والتي من خلالها يتم ترتيب المعلومات وتكوين المفاهيم والآراء، وصياغة الأفكار والرؤى، ويتم ترسيخ المعتقدات والقيم حقاً كانت أم باطلاً.

وهو مرتكز الاجتهادات، وأساس اتخاذ القرارات والمواقف، وفي ضوئه يتم حلّ المشكلات والتعامل مع التحديات. وتتدخل عوامل كثيرة في تشكله منها: البيئة والمجتمع، ومنها: التعليم والثقافة وغيرها. ويتم تشكله في العقل الباطن أو اللا شعور؛ لذا يصعب التفطن إليه، ومن باب أولى تخطيه وتجاوزه.

والإطار الفكري وفق هذا التعريف هو السبب في تحويل الصواب إلى خطأ والخطأ إلى صواب، والبدعة إلى سنة، والسنة إلى بدعة، والظن إلى يقين، واليقين إلى ظن، والمتهم إلى بريء، والبريء إلى متهم، والأوهام إلى حقائق، والخرافات إلى معتقدات، والأباطيل والأراجيف إلى تاريخ، والحق إلى باطل، والباطل إلى حق. وهي أمور محيرة يحتاج المؤمن إلى مجاهدة مستمرة واتصال بالله تعالى واللجوء إليه؛ طلبا لعونه في تجاوز كل هذه المفاوز.

وهذا قد يفسر الدعاء المأثور الجامع: "اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه". وهذا قد يقدّم – أيضاً تفسيراً – لصعوبة توبة المبتدع؛ وذلك لصعوبة رجوعه عن رأيه لشدة تمسكه به واعتقاده أنه حق.

ومعظم الناس – إلا من شاء الله له السلامة – لا يرون العالم كما هو، بل

---

(٤٨) مقتبسة بنوع من التصرف من ورقة بعنوان: "**وسائل ترشيد الفهم الصحيح لفقه التدين**" جمال أحمد بادي. ورقة مقدمة لمؤتمر فقه التدين (الواقع والتطلعات) جامعة اليرموك الأردن ٣٠/٥/٢٠٠٨م.

كما يدركونه هم من خلال الأطر والقوالب التي يشكّلونها عبر الخبرة والتجربة الذاتية المتأثرة ببيئة وثقافة معينة.

والحال كما وصف فإن الإنسان عند تعامله مع ما حوله ومن حوله لا يحس بأن نظرته للأمور مقيدة بذلك الإطار وإن ادّعى أنه حر في تفكيره. وعجباً لكثير من الناس ممن يحيا ما كُتِبَ له من عُمر طال أو قصر، ولم ينعم قط بطعم الحقيقة، ولم يسمح لنفسه أن يعيش الحياة كما هي في واقع الأمر، وإنما عاشها كما هي في ذهنه ومساراته المتشكلة حسب ما أدركه وفق أطر معينة أعمته عن رؤية الحقيقة.

وقد يكون هذا الغبش في الرؤية جزئيًا، وفي بعض المسائل المحددة أو في اجتهاد في مجال من المجالات، وقد يكون انحرافًا عاماً عن بنيات الطريق تصغر أو تكبر زاويته. ولهذا الغبش في الرؤية أسباب متمثلة في عوائق تحجب التفكير السليم ومن أهمها:

أ – **العوائق الإدراكية:** نحو الاعتماد على الظن، وفساد التصور، والشبهات، والفهم الجزئي، والفشل في تعدد زوايا النظر، أو استعمال كافة الحواس.

ب – **العوائق النفسية:** كالخوف، والهوى وما يتبعه، كالإعجاب، والاغترار، والغضب، والحب، والبغض، والتكبر، وحظوظ النفس، والتعصب.

ج – **والعوائق الثقافية:** كالتقليد الأعمى، ومجاراة الآخرين.

د – **والعوائق البيئية:** عندما تكون البيئة على النهج ذاته والسلوك ذاته، ولا يسمح فيها بتجاوز المتعارف عليه من الآليات، ولا يشجع التطوير ولا مجال فيها للإبداع.

هـ – **العوائق التعليمية (التربوية):** نحو اعتماد منهج التلقين والاكتفاء به، وعدم السماح بالسؤال، ولا بالتعبير عن الرأي، بله السماح بالنقد البناء ووجهة النظر المغايرة.

وهنا تبرز أهمية المقدرة على رؤية الأمور من زوايا نظر مختلفة، وتخطي

العوائق المتنوعة. وهو أسلوب نبوي دعوي يشهد له حديث مسند الإمام أحمد وفيه قصة الفتى[٤٩] الذي طلب فيه الإذن بالزنا من النبي ﷺ.

أما الغضب وكونه عائقاً عن التفكير السليم فقد أشارت إليه جملة من الأحاديث، منها: حديث عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (لَا طَلَاقَ وَلَا عَتَاقَ فِي إِغْلَاقٍ[٥٠]).

ومنها: حديث عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: كَتَبَ أَبُو بَكْرَةَ إِلَى ابْنِهِ – وَكَانَ بِسِجِسْتَانَ – بِأَنْ لَا تَقْضِيَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَأَنْتَ غَضْبَانُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: (لَا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ)[٥١].

ومنها: حديث أَبِي مِجْلَزٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّى بِنَا عَمَّارٌ صَلَاةً فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَقَالَ: أَلَمْ أُتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ دَعَوْتُ فِيهِمَا بِدُعَاءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِهِ [اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْراً لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرا لِي، أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ مِنْ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ[٥٢].

---

(٤٩) انظر: أحمد بن حنبل، **مسند أحمد** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م) رقم الحديث ٢٢٢١١، ج٣٦، ص ٥٤٥. قال محققه شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٥٠) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه** (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٩٩٨م)، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، رقم الحديث ٢٠٤٦، ج١، ص٦٦٠. وأحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث ٢٦٣٦٠، ج٤٣، ص٤٧٨.

(٥١) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، رقم الحديث: ٧١٥٨، ج١٣، ص١٣٦. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان، رقم الحديث ٤٥٨٧، ج٥، ص١٣٢.

(٥٢) أحمد، **المسند**، رقم الحديث ١٨٣٢٥، ج٣٠، ص٣٦٤–٣٦٥.

٨ – التثبت والتأني وعدم التسرع في إصدار الأحكام:

التثبت في التمثل بالمسائل والتأني في اصدار الأحكام: أمر قرره القرآن الكريم في مواضع عدة، منها: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾(٥٣). وقد علّم النبي ﷺ أصحابه التثبت في الأخبار وحذرهم من أن يظنوا ظن السوء قبل أن يتثبتوا من صحة وصدق الخبر. فعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعْتَكِفًا فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ فَانْقَلَبْتُ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، – وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ – فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الأَنْصَارِ فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا. فَقال النبي ﷺ: عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ، فَقَالَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءاً أَوْ قَالَ: شَيْئاً"(٥٤).

ومنها: تثبت النبي ﷺ في شأن ما وقع من حاطب بن أبي بلتعة من خطأ جسيم في مكاتبته قريشاً وبث أسرار المسلمين إلى عدوهم قبل الحكم عليه. وكان من الحوار الذي دار بينهما والذي يرويه علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قول رسول الله ﷺ لحاطب: "يَا حَاطِبُ مَا هَذَا! قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْراً، وَلَا ارْتِدَاداً، وَلَا رِضاً بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلَامِ. فَقال رسول الله ﷺ: "لَقَدْ صَدَقَكُمْ، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ! قَالَ: إِنَّهُ قَدْ

---

(٥٣) سورة الحجرات: ٦.

(٥٤) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث ٣٢٨١، ج٦، ص٣٣٦– ٣٣٧. ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب السلام، باب أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة وكانت زوجة أو محرماً، رقم الحديث ٥٨٠٨، ج٧، ص٨. وأبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الصوم، باب المعتكف يدخل البيت لحاجته، رقم الحديث ٢٤٧٢، ج٢، ص٣٠٩.

شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُم "(٥٥).

فالنبي -ﷺ- لم يعجل بالحكم على حاطب حتى استدعاه، وحاوره، وسأله، وتثبت من وقوع الحدث، وعن الأسباب التي دفعته إلى ارتكاب الخطأ. ثم بعد أن تأكد -عليه الصلاة والسلام- من وقوع الخطأ وعلم سببه قَبِلَ عذر حاطب، وأحسن الظن به، وذكر أفضل مناقبه، ألا وهي سبقه في الإسلام وشهوده بدراً.

٩ - حسن معاملة المخطئ وحفظ كرامته:

وردت قصص كثيرة في سيرة نبينا محمد ﷺ تدل على أهمية حسن معاملة المخطئ ومن ذلك: حفظ كرامته عند توجيهه وبيان خطئه؛ حتى يكون أدعى لقبوله النصح، ولا يتمادى في خطئه؛ وحتى لا تكون المعاملة السيئة سبباً في عناده وإهدار كرامته. من ذلك: قصة الأعرابي الذي بال في المسجد، كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ. فَقَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ"(٥٦).

ومن ذلك: معاملة النبي الحسنة للأعرابي الذي أخطأ في الصلاة كما في حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- عُلِّمْتُ أُمُوراً مِنْ أُمُورِ الإِسْلاَمِ، فَكَانَ فِيمَا عُلِّمْتُ أَنْ قَالَ لِى: «إِذَا عَطَسْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ، وَإِذَا عَطَسَ الْعَاطِسُ فَحَمِدَ اللَّهَ فَقُلْ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ». قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فِى الصَّلاَةِ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ رَافِعًا بِهَا

---

(٥٥) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم الحديث ٣٠٠٧، ج٦، ص١٤٣. ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل البدر، رقم الحديث ٦٥٥٧، ج٧، ١٦٧. وأبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الجهاد، باب حكم الجاسوس إذا كان مسلماً، رقم الحديث ٢٦٥٢، ج٣، ص١.

(٥٦) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، رقم الحديث ٢٢٠، ج١، ص٣٢٣. والنسائي، **سنن النسائي** (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٩٨٦م)، كتاب الطهارة، باب ترك التوقيت في الماء، رقم الحديث ٥٦، ج١، ص٤٨. وأحمد، **المسند**، رقم الحديث ٧٧٩٩، ج١٣، ص٢٠٩.

صَوْتِى، فَرَمَانِى النَّاسُ بِأَبْصَارِهِمْ، حَتَّى احْتَمَلَنِى ذَلِكَ فَقُلْتُ: مَا لَكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ شُزْرٍ؟ قَالَ: فَسَبَّحُوا. فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- الصَّلاَةَ قَالَ «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ»؟ قِيلَ: هَذَا الأَعْرَابِىُّ، فَدَعَانِى رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ لِى: «إِنَّمَا الصَّلاَةُ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ، فَإِذَا كُنْتَ فِيهَا فَلْيَكُنْ ذَلِكَ شَأْنَكَ». فَمَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَطُّ أَرْفَقَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-(٥٧).

ومنها حسن معاملة النبي لثمامة بن أثال مما دعا إلى إسلامه عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْلاً قِبَلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ: لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ. فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ، إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟ فَقَالَ عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ. فَقَالَ: أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ. فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ. يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ، أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَض إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ. فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ. قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "(٥٨)

---

(٥٧) أبو داود، **سنن ابي داود**، كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة، رقم الحديث ٩٣٢، ج١، ص٣٥١.

(٥٨) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، رقم الحديث ٤٣٧٢، ج٨، ص٨٧. ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه، رقم الحديث ٤٦٨٨، ج٥، ص١٥٨.

ومن ذلك: عفوه ﷺ عن أسامة حينما قتل رجلاً اجتهاداً منه كما جاء عن أسامة، بن زيد –رضي الله عنهما– قال: بعثنا رسول الله–ﷺ– في سرية فَصَبَّحْنا الحُرُقات من جهينة، فصبحنا القوم، فهزمناهم، ولَحِقْتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلّا الله، فكف عنه الأنصاري، وطعنته برمحي؛ حتى قتلته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي–ﷺ– فقال لي: "يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلّا الله؟". قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذاً. قال: فقال: "أقتلته بعد ما قال لا إله إلّا الله؟" قال: فما زال يكررها علي؛ حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم.(٥٩)

نلاحظ في هذه القصص لجوء النبي ﷺ للحوار لفهم تفاصيل ما وقع من أحداث مستهجنة، وفيها من الإيجابيات: شعور صاحب الخطأ بفداحة خطئه. ومع ما قد يكون في كل حوار من الشدة والحزم الذي يستدعيه المقام إلا أن ذلك لم يكن مدعاة لإهدار فضل صاحب الخطأ، ولا تقليلاً من مكانته وعلمه، ولا إعراضا عن ما له من سابقة.

ويمثل هذا الصنيع غاية العدل والإنصاف. فخطأ أسامة رضي الله عنه لم يكن سبباً في فقدان مكانته من النبي ﷺ بل بقي –كما هو– حِبَّه، وابنَ حِبِّه. كما لم يكن سبباً في عدم اعتبار ما لديه من مواهب وقدرات فقد أمَّره في آخر عمره على الجيش الذي كان فيه أكابر الصحابة –رضي الله عنهم–. وخطأ معاذ في إطالة الصلاة لم يمنع النبي –ﷺ– من أن يرسله إلى اليمن قاضياً وحاكماً، ومفتياً كما في الصحيحين.

وليس كل مخطئ يعاقب على خطئه، بل قد يثاب أحياناً لا على خطئه وإنما على محاولته في البحث عن الصواب. وهذا يفتح باب الرجوع للمخطئ فلا يتمادى في خطئه. بل إن الخطأ غير المقصود إذا كان بسبب البحث عن الحق نال

---

(٥٩) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب بدء الوحي، رقم الحديث ٤٢٦٩، ج٥، ص١٨٣. ومسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، رقم الحديث ٢٨٧، ج١، ص٦٧.

صاحبه عليه أجراً كما في قوله ﷺ: (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله، أجران وإذا حكم فأخطأ فله أجر واحد)[٦٠]. وهو مما يعد تثميناً للمحاولة على فعل الخير وتشجيعاً على البحث عن الحق. فهو أمان فكري للمجتهد يشجعه على الاجتهاد، ولولا ذلك لما تشجع إمام على البحث العلمي لخوفه من العقاب.

١٠ – التشجيع على إبداء الرأي:

علّم رسول الله ﷺ أمته، بسنته الفعلية العملية، التشجيع على إبداء الرأي وإن كان يبدو مخالفاً، والإذن بالاعتراض إذا كان بقصد الاستيضاح والفهم، وعدم التبرم بمن يسأل إذا كان سؤاله بقصد التعلم لا التعنت؛ لأن التفاعل مع تساؤلات المخاطبين يعتبر أمراً مهماً في تحقيق الأمن الفكري. من ذلك: إذنه ﷺ لعائشة لأن تبدي رأيها، كما في حديث ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ "مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ" قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قَالَتْ: فَقَالَ "إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ"[٦١].

وكما في حديث الأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ "سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْجَدْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَ: إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمْ النَّفَقَةُ. قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا؟ قَالَ: فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ"[٦٢].

---

(٦٠) الترمذي، **سنن الترمذي** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، كتاب الأحكام، باب القاضي يصيب ويخطيء، ح: ١٣٢٦، ج ٣، ص ٦١٥. وصححه الشيخ الألباني.

(٦١) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه، رقم الحديث ١٠٣، ج١، ص١٩٦–١٩٧.

(٦٢) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها، رقم الحديث ١٥٨٤، ج٣، ص٤٣٩.

ومن ذلك: إذن النبي ﷺ لحفصة أن تبدي رأيها، كما في حديث أم مبشر عن حفصة قالت: قال رسول الله ﷺ: (إني لأرجو أن لا يدخل النار أحد إن شاء الله ممن شهد بدرا والحديبية) قلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾[٦٣]؟ قال: أولم تسمعيه يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[٦٤]؟)[٦٥].

وعن ابن عمر أن حفصة أخبرته: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع. قالت حفصة: (قلت للنبي ﷺ: ما شأن الناس حلّوا ولم تحل من عمرتك؟ قال: إني قلدت هديي، ولبدت رأسي، فلا أحل حتى أحل من الحج)[٦٦].

ومنها: إذن النبي ﷺ للصحابة أن يراجعوه فيما لم يتضح لهم معناه. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ، لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ: بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٦٧].

---

(٦٣) سورة مريم، الآية ٧١.

(٦٤) سورة مريم، الآية ٧٢.

(٦٥) ابن ماجه، سنن ابن ماجه (بيروت: دار الفكر، د.ت) كتاب الزهد، باب ذكر البعث، ح: ٤٢٨١، ج ٢، ص ١٤٣١. والطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير** (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٩٨٣م)، ذكر أزواج الرسول ﷺ منهن، حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أخبارها، رقم الحديث ٣٥٨، ج٢٣، ص٢٠٦. وقال الألباني: حديث صحيح.

(٦٦) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الحج، بيان أن القارن لا يتحلل إلا في وقت تحلل الحاج المفرد، ح: ١٢٢٩، ج ٢، ص ٢٤٠.

(٦٧) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، رقم الحديث ٣٣٦٠، ج٦، ٣٨٩. ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه، رقم الحديث ٣٤٢، ج١، ص٨٠. والترمذي، سنن الترمذي (بيروت: دار الجيل، ط٢ن ١٩٩٨م)، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الأنعام، رقم الحديث ٣٠٦٧، ج٥، ص١٥٢. وأحمد، المسند، رقم الحديث ٤٠٣١، ج٧، ص١٢٩.

ومنها: إذن النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه أن يعبر عن رأيه وإن كان مخالفاً لرأيه ورأي أبي بكر. كما في أسرى بدر في حديث ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: "فَلَمَّا أَسَرُوا الأُسَارَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لأَبِى بَكْرٍ وَعُمَرَ "مَا تَرَوْنَ فِى هَؤُلاَءِ الأُسَارَى؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِىَّ اللَّهِ، هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمْ فِدْيَةً؛ فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ قُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِى رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّى أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّى مِنْ فُلاَنٍ - نَسِيبًا لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلاَءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِىَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِى، مِنْ أَىِّ شَىْءٍ تَبْكِى أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: أَبْكِى لِلَّذِى عَرَضَ عَلَىَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَىَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ. - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِىِّ اللَّهِ -ﷺ-. وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ﴾ فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.(٦٨)

ومنها: إبداء عمر رأيه في مسألة اعتزال النبي نساءه، فوافق رأيه ما نزل به القرآن: ففي الحديث الطويل الذي يرويه عمر رضي الله عنه: "وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ وَأَنَا أَرَى فِى وَجْهِهِ الْغَضَبَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ. وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ وَأَحْمَدُ اللَّهَ بِكَلاَمٍ إِلاَّ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يُصَدِّقُ قَوْلِى الَّذِى أَقُولُ. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن

(٦٨) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، رقم الحديث ٤٦٨٧، ج٥، ص١٥٦.

طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾".(٦٩)

١١ - حق المراجعة:

هناك فرق بين التشجيع على إبداء الرأي الذي يكون في قول ما يراه المسلم ابتداء، وبين المراجعة في إبداء الرأي في أمر تقرر أو وجهة نظر مخالفة لما طرح من رأي من قبل الآخرين، خاصة إذا كانوا في منصب القيادة واتخاذ القرار.

وفي كتاب ربنا تعالى وسنة نبينا محمد ﷺ: أدلة تقرر أهمية الإذن بالمراجعة في شؤون الثقافة من المتلقي للآمر. وتمثل المراجعة لمانح الثقافة صمام أمان للمجتمع. كما يعد وجود من يراجع أصحاب السلطة الثقافية، وقبول أصحابها بهذا المبدأ - أيضا - أمرًا مهماً هو الآخر. ويدخل في ذلك دخولاً أولياً كل من له علاقة بالسلطة الثقافية يستوي في ذلك القادة والمعلمون والآباء والإعلام في زماننا هذا.

من تلك الأدلة: مراجعة النبي الله فيما فرض عليه من الصلوات: في حديث الإسراء والمعراج الطويل عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ. وفيه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِى خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلاَةً. قَالَ لِى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ: فَرَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَرَاجَعْتُ رَبِّى فَوَضَعَ شَطْرَهَا، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - فَأَخْبَرْتُهُ. قَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَرَاجَعْتُ رَبِّى فَقَالَ: هِىَ خَمْسٌ وَهْىَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ. فَقُلْتُ قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّى. قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِى جِبْرِيلُ حَتَّى

---

(٦٩) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الطلاق، باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم الحديث ٣٧٦٤، ج٤، ص١٨٨.

نَأْتِىَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِى مَا هِىَ. قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»(٧٠).

ومنها: مراجعة النبي جبريل فيما أنزل من أحرف القرآن كما في حديث أُبَىِّ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِى غِفَارٍ. قَالَ: فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. فَقَالَ «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِى لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ. فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِى لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَحْرُفٍ. فَقَالَ: «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِى لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ». ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا.(٧١)

ومنها: مراجعة عمر لرأي أبي بكر رضي الله عنهما في قتال مانعي الزكاة كما في حديث أَبِى هُرَيْرَةَ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّىَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لأَبِى بَكْرٍ كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّى مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ؟. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِى عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِى بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.(٧٢)

---

(٧٠) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله إلى السماء وفرض الصلوات، رقم الحديث ٤٣٣، ج١، ص١٠٢.

(٧١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة احرف وبيان معناه، رقم الحديث ١٩٤٣، ج٢، ص٢٠٣.

(٧٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، رقم الحديث ١٣٣، ج١، ص٣٨.

ومنها: مراجعة زيد بن ثابت الشيخين حين كلفاه بجمع القرآن حيث قال رضي الله عنه: "فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنْ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، فَلَمْ يَزَلْ يُرَاجِعُنِي فِي ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَهُمَا [صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ]"[(٧٣)].

ويسري ذلك على قضايا الثقافة الاجتماعية، وشؤون الدنيا العامة من باب أولى.

مثال الأولى: ما أخرجه ابن ماجه والنسائي – واللفظ له – عن عائشة رضي الله عنها أن فتاة دخلت عليها فقالت: "إن أبي زوجني من ابن أخيه يرفع بي خسيسته[(٧٤)] وأنا كارهة، قالت: اجلسي حتى يأتي رسول الله ﷺ. فلما جاء وسول الله فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها فقالت: يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء".

ومراجعة بريرة النبي ﷺ عندما نصحها بالرجوع لزوجها الذي كان يحبها وكانت تبغضه هل هو أمر منه أم مجرد شفاعة؟

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ: مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ. فَقال النبي ﷺ: لِعبَّاسٍ يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا! فَقال النبي ﷺ: لَوْ رَاجَعْتِهِ؟ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ. قَالَتْ لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ"[(٧٥)]

---

(٧٣) الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب تفسير القرآن، باب سورة التوبة، رقم الحديث ٣١٠٣، ج٥، ص١٨٠. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٧٤) قولها: "ليرفع بي خسيسته" قال الأزهري: "يقال رفع الله خسيسة فلان إذا رفع حاله بعد انحطاطها".

(٧٥) البخاري، **صحيح البخاري** مع فتح الباري، كتاب الطلاق، باب في شفاعة النبي لزوج بريرة، رقم الحديث ٥٢٨٣، ج٩، ص٤٠٨.

ومثال الثانية: مراجعة الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ في تأبير النخيل. كما في حديث أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ. فَقَالَ: لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ. قَالَ فَخَرَجَ شِيصاً فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ مَا لِنَخْلِكُمْ؟. قَالُوا: قُلْتَ: كَذَا وَكَذَا قَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ».(٧٦)

(٧٦) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الفضائل، باب وجوب الامتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معايش الدنيا، رقم الحديث ٦٢٧٧، ج٧، ص٩٥.

خلاصة البحث

حاول هذا البحث إبراز وعرض أهم أسس الأمن الفكري في السنة النبوية، حيث تمّ بيان دور تطبيق المنهج النبوي في حماية الأمة من الغزو الفكري ومن الجنوح إلى الغلو معاً في سبيل تحقيق السلام العقدي والاجتماعي والنفسي والسياسي والثقافي للمجتمع. ونستخلص من العرض والتحليل وجوب اتباع المنهج النبوي في بناء المجتمع وتنشئة الإنسان الصالح؛ لأن هذا المنهج النبوي يضع أسس الأمن الفكري، ويساعد على بناء وتقوية دعائمه، وذلك من خلال:

- **تقوية وازع الدين في النفس، وإذكاء جذوة الإيمان في القلب.**
- **ربط القيم وضبط السلوك بمبادئ توحيد الله تعالى، وإخلاص الدين والعمل له وحده سبحانه.**
- **تَرسيخ منهجِ الوسطيّة والاعتدال في الاعتقاد والعبادة والعمل.**
- **بناء إطار واسع من حرّيّة الرأي والتفكير، المهتدي بنور الوحي، والمنضبط بقواعد الشرع.**

وحري بمؤسساتنا التعليمية والتربوية والاجتماعية والإعلامية أن تترجم هذه الأسس إلى واقع عملي ملموس من خلال قنواتها ووسائلها وإمكاناتها ليتم ترسيخ تلكم الأسس وتثبيتها في قلوب وعقول المسلمين، لاسيما الناشئة منهم.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١ - البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ومحب الدين الخطيب (بيروت: دار الفكر، د.ت).

٢ - أبو دود، **سنن أبي داود** (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).

٣ - أحمد، **المسند**، تحقيق شعيب الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٩م).

٤ - ابن ماجه، **سنن ابن ماجه** (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٩٩٨م).

٥ - بادي، جمال، **وسائل ترشيد الفهم الصحيح لفقه التدين.** ورقة مقدمة لمؤتمر فقه التدين (الواقع والتطلعات) جامعة اليرموك الأردن ٣٠/٥/٢٠٠٨م.

٦ - برغوث، عبد العزيز، **ظاهرة العولمة ومساراتها بين المقاربة الإيديولوجية والمقاربة الحضارية:** مجلة إسلامية المعرفة السنة الثانية عشر العدد ٤٦-٤٧ خريف ٢٠٠٦م شتاء ٢٠٠٧م.

٧ - بن حميد، صالح بن عبدالله، **الأمن الفكري في ضوء مقاصد الشريعة** (الرياض: كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز لدراسات الأمن الفكري، جامعة الملك سعود، ١٤٢٩هـ).

٨ - الترمذي، **سنن الترمذي**، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: دار الجيل، ط٢، ١٩٩٨م).

٩ - الزامل، عبد الله، **الوازع الديني**، مقالة منشورة في جريدة الرياض، الاحد ٢٠ جمادى الآخرة ١٤٢٧هـ - ١٦ يوليو ٢٠٠٦م - العدد ١٣٩٠١.

١٠- سبيلا، محمد، **الإيدولوجيا: نحو نظرة تكاملية** (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩٢م).

١١- العبادي، صادق، **الفكر الطائفي وأثره في انقسام الأمة**، مقالة في ندوة مستجدات الفكر الإسلامي المعاصر الرابعة، ٩-١١ يناير ١٩٩٥م.

١٢- عبد العال، حسن إبراهيم، **التربية الإبداعية ضرورة وجود**، عمان، دار الفكر، ٢٠٠٤م.

١٣- عبدالله، معتز سيد، **التعصب دراسة نفسية اجتماعية** (القاهرة: دار الغريب للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٩٧م).

١٤- العروي، عبدالله، **مفهوم الإيدولوجيا** (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط ٥، ١٩٩٣م).

١٥- الطبراني، سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير** (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٩٨٣م.

١٦- ابن قيم الجوزية، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى** (المدينة: مطبعة الجامعة الإسلامية، ط١).

١٧- مسلم، **صحيح مسلم** (بيروت: دار الجيل، دت).

١٨- النجار، عبد المجيد، **دور حرية الراي في تحقيق الوحدة الفكرية بين المسلمين**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ١٩٩٢م.

١٩- النسائي، **سنن النسائي** (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٩٨٦م).

٢٠- هاينال، اندريه، ومكلوس مولنار، وجيرار دي بوميج، **سيكولوجية التعصب**، ترجمة د. خليل أحمد خليل (لندن: دار الساقي، ط١، ١٩٩٩م).

مواقع الشبكة الدولية:

١ - د. يوسف القرضاوي: **أخلاقيات التحرر من التعصب:** مجلة بلاغ.

http://www.balagh.com/youth/7l0sz116.htm.

٢ - موقع ملتقى أهل الحديث

http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=94534